بسم الله الرحمن الرحيم

STATE OF QATAR
National Council for Culture, Arts and Heritage
Department of Culture & Arts

دولة قطر
المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث
إدارة الثقافة والفنون
قسم المسرح
وحدة التوثيق

فرقة مسرحية اهلية

استمارة مسرحية

اسم المسرحية : التفاحة تصرخ .. الخبز يتعرى ☆ مسرحية رقم (٤٤)

تأليف : دلال خليفه

إخراج : حسن ابراهيم

إنتاج وتقديم : فرقة قطر المسرحية

مكان العرض : مسرح دار الاوبرا الصغير بالقاهرة ☆

تاريخ العرض : ٢٧/٩/٢٠٠٥

عدد العروض : ٢ عرض

عدد الرواد : ٥٤٠

ملاحظات : ☆ تم عرض هذه المسرحية من خلال مهرجان القاهرة الدولي السابع عشر للمسرح التجريبي

وحدة التوثيق

تقدم فرقة قطر المسرحية
مسرحية

التفاحة تصرخ...
الخبز يتعرى

(أو: أنا/أنت/الإنسان)

تأليف

دلال خليفة

اخراج

حسن ابراهيم

تم عرض هذه المسرحية على خشبة مسرح الاوبرا الصغير
ضمن مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي في دورته (١٧)
العرض تم بتاريخ ٢٧/٩/٢٠٠٥

المشهد الأول

مطعم جميل بفندق فاخر. تزين المطعم أشجار ظل طويلة تضفي عليه جواً شاعرياً وتزيده أبهة. هناك عدد من المناضد المستديرة الأنيقة كلها مشغولة. هناك منضدتان يشغل كل منهما شخص واحد فقط، واحدة في المنتصف في زاوية يصنعها حاجزان زجاجيان منخفضان يحددان حجم المطعم وبجوارها شجرة عالية، والأخرى إلى الشمال. في منتصف كل منضدة سلة فواكه صغيرة وحولها باقي الأطباق. قريباً من الموائد يقف نادلان أنيقان إلى اليمين والشمال لتلبية رغبات الطاعمين. الناس يأكلون بشهية والصوت السائد هو صوت همهمات الناس والشوك والسكاكين لدى اصطدامها بالأطباق.

شاغل المنضدة الوسطى المواجهة للجمهور يطوي جريدته ويضعها جانباً ويبتسم لدى رؤية طعامه. يفتح منديل المائدة ويضعه على ساقيه. شاغل المنضدة التي إلى الشمال ينهي مكالمته الهاتفية ويدخل التلفون في جيبه ويتناول المنديل ويضعه على ساقيه استعداداً للأكل.

يقطع الأول قطعة طماطم ويقربها من فمه فتسمع صرخة فيبعدها وينظر إليها مذهولاً ثم يتلفت حوله بحرج وكأنه يتساءل إن كان الجميع قد سمعوا ما سمعه ولكن يتضح له من منظر الناس أن الصرخة لم يسمعها غيره.

الثاني يغترف بالشوكة شيئاً من الأرز ويتجه به إلى فمه، ولكن وجهه يحمر فجأة ويشيح بعيداً وهو يبعد الشوكة عن فمه.. ينظر إلى الأرز مذهولاً، ثم يتلفت حوله. لا أحد يبدو عليه أنه رأى ما رآه.

الأول يحاول ثانية تقريب الشوكة من فمه ولكنه يسمع الصرخة ثانية فيبعدها مذهولاً. أما الثاني فيحاول أكل قطعة دجاج ولكنه أيضاً يشيح بوجهه المحمر في الحال وهو يبعد الشوكة ثم ينظر إليها في ذهول ودهشة.

الأول يحاول مرة ثالثة تقريب الشوكة من فمه ولكنه يسمع الصرخة فيبعدها وكذا يفعل الثاني.

الأول يسقط قطعة الطماطم من الشوكة ويأخذ قطعة لحم بدلاً منها ويقربها من فمه فيسمع الصرخة ذاتها. يبعدها عن فمه وينظر إليها في رعب وعيناه مليئتان بالتساؤلات. الثاني يلقي بقطعة الدجاج في الصحن ويأخذ قطعة جزر بدلاً منها فيحدث الشيء ذاته فيبعد الشوكة مرعوباً.

الأول يأخذ قطعة خس ويحاول أكلها ولكنه يسمع الصرخة فيبعدها عن فمه ويتفحصها بذهول.. لا شيء بها. الثاني يسقط قطعة الجزر ويتناول قطعة فطر بالشوكة ولكن الشيء نفسه يحدث ثانية فيبعدها عن فمه ثم يتفحصها مذهولاً وكأنه يبحث عن شيء.

يضع الاثنان الشوكتين في طبقيهما ويأخذ الأول في قراءة الجريدة بينما يتظاهر الثاني بالدندنة المصحوبة بالدق بأصابعه المرتجفة على المنضدة.

يأتي صوت موسيقى تعبر عن فاصل زمني في أثنائه ينهض زبائن المطعم ويغادرون وتُخرج موائدهم من المسرح ولا تبقى إلا المنضدتان اللتان يشغلهما الأول والثاني ويعم الصمت المكان. ينظر النادل الواقف إلى الشمال في ساعته ثم يتقدم نحو الثاني.

النادل: (مبتسماً) سيدي، ألا يعجبك الطعام؟

الثاني : بلى، إن رائحته شهية.. (يتناول قطعة فطر ويرفعها إلى فمه ولكنه يتذكر ما سيحدث فيبعدها فوراً ثم ينظر إلى النادل حرجاً وهو يبتلع ريقه) امم.. قل لي من فضلك، من أين تتجه إلى الشاطئ؟

النادل: (مشيراً إلى النافذة خلف الثاني) من هناك يا سيدي، من الباب الذي إلى اليمين

الثاني : شكراً.

يتركه النادل ويتجه إلى الأول ولكن الأول يدس وجهه في الجريدة متظاهراً بالانهماك في القراءة فيتركه.

يختلس كلّ من الرجلين النظر للآخر باهتمام بين الفينة والفينة ويشيح بوجهه قبل أن يراه الآخر.. عندما تلتقي عينا كل من الرجلين بعيني الآخر يضطرب الاثنان ويحاولان الإشاحة حرجاً إلا أنهما يحييان بعضهما بعضاً بإيماءة وشبه ابتسامة.. يتشجع الأول ويشير إلى المقعد المجاور له وهو ينظر للثاني أن تفضل. يبدو الثاني وكأنه ينتظر هذه الفرصة منذ مدة طويلة. ينتقل إلى منضدة الأول ويطلب من النادل نقل أطباقه معه. ثم يجلس مبتسماً على المقعد المجاور للأول ويحييان بعضهما بعضاً ويأتي النادل بأطباق الثاني ويضعها أمامه. تُخرج منضدته الفارغة وتبقى المنضدة التي يجلس إليها الرجلان وحدها متصدرة المكان.

الأول : (وهو ينظر إلى أطباق الثاني المليئة) يبدو أن لديك المشكلة ذاتها، أنت أيضاً لا تستطيع أن تأكل.

الثاني: (متضاحكاً) نعم، وقد لفت نظري من بعيد أنك لا تستطيع أن تأكل.. مثلي تماماً.

الأول : (يتنهد) لا أعلم لماذا.. وبدأت أشعر بالحرج بعد أن خرج جميع من بالمطعم.. أعتقد أن النادلين متضايقان منا الآن.

الثاني: نعم، نعم، أنا أيضاً تملكني الشعور نفسه.

يصمت الأول وينظر إلى طعامه متفكراً ويبدو متردداً في الكلام.

الثاني: (متردداً) لماذا..؟

الأول : (متصنعاً ابتسامة) هذه تقريباً أول مرة أسافر فيها للاستجمام دون أسرتي..

الثاني: وأنا أيضاً.. هل تظن أنه الشعور بالوحدة؟

الأول : (تتسع ابتسامته) ربما.

الثاني: نعم، نعم، لابد أنها الوحدة.. كيف آكل في هذا المكان الجميل دون أن تكون أسرتي من حولي؟ (يتضاحك) هل تعلم؟ لقد كنت أشعر بحاجة كبيرة لفراقهم قليلاً، وهاأنذا عاجز عن الأكل بدونهم.

الأول : أفهم ما تقول.. أنا أيضاً كان همي الوحيد منذ سنوات طويلة أن أتمكن من قضاء إجازة قصيرة بعيداً عن متطلباتهم ومشاكلهم الصغيرة وثرثرتهم.

الثاني: نعم، مثل وضعي تماماً.

الأول : ما العمل وأنت تشعر أنك محاصر.. مكرس للبيت ومكبل بالعمل من أجل هذا البيت.. تمل.. تتعب.. ترغب في التوقف ولكنك لا تجرؤ، واجبك أن تركض وتلهث.. أن تؤدي دورك في الحياة (يهز الثاني رأسه مؤيداً) مهما كلف الأمر.. مهما كلف الأمر!

الثاني: نعم.

الأول : ولا تبالي بشيء في سبيل ذلك ولو خرجت من آدميتك.. حتى تتحول إلى محارب بدائي يرقص حول النار على طبول انتصار مبهم.. تقبل كل شيء.. أي شيء وتصم أذنيك وحواسك عن كل شيء.. هل تفهم ما أعني؟

الثاني: طبعاً طبعاً، يبدو أنني قابلت نفسي!

الأول : وهنا تراودك فكرة الهروب مؤقتاً.. السفر في إجازة صغيرة تجلس فيها بعيداً، مع نفسك...

الثاني: وها أنا جالس مع نفسي.

الأول : (يستنشق شيئاً من الهواء) ثم ها نحن بعد كل ذلك لا نستطيع تناول غداءنا. ليت ابناي الصغيران كانا إلى يميني وزوجتي إلى شمالي وأمامي الابنتان..

الثاني: نعم.. حتى أسرتك شبيهة بأسرتي!

الأول : لو كان ابني الأصغر إلى جانبي الآن لما ترك لي قطعة بطاطا واحدة..

الثاني: ابني الصغير أيضاً يعشق البطاطا، أما ابنتي الكبرى فهي حتماً ستتتبع الفطر..

الأول : لا أعلم كيف تركناهم وفررنا منهم.

الثاني: شعرنا أننا بحاجة إلى أن نكون وحدنا.. أردنا إجازة صغيرة منهم كما تفضلت.

الأول : ولكننا لم نحسب حساب الوحدة.

الثاني: تماماً، يبدو أن الوحدة أسوأ مما كنا نتخيل.. الوحدة تفسد كل شيء...

موسيقى الفاصل الزمني.. في هذه الأثناء يتغير موقع المنضدة والشجرة وموقع النادلين كما لو كان المشاهد ينظر من زاوية أخرى معاكسة.

الأول : ولكن انتظر قليلاً.. نحن الآن نتحدث معاً بدرجة لا بأس بها من الألفة، لسنا وحيدين على الإطلاق، ألا نأكل؟

الثاني: (متضاحكاً) نعم، نعم، فلنأكل...

يقتطع الأول قطعة لحم ويتجه بها إلى فمه ويقتطع الثاني قطعة خبز يدهنها بالزبدة ويتجه بها إلى فمه، عندما تقترب قطعة اللحم من فم الأول تسمع الصرخة وعندما تقترب قطعة الخبز من فم الثاني يحمر وجهه ويشيح به، يبعد الاثنان الطعام عن أفواههما مذهولين.

الأول : (يبتلع ريقه وينبري متحدثاً بشكل مفتعل متظاهراً أنه تذكر شيئاً فجأة) آ...

ألم تسمع عن مشروع الجسر الجديد؟

الثاني: (مفتعلاً الاهتمام) كنت على النو أريد أن أسأل عنه، متى يتم تنفيذه؟

الأول : لا أعلم، كنت أريد أن أسألك.

يغافل الأول الثاني ويسقط قطعة اللحم ويلتقط قطعة بطاطا بينما يلقي الثاني بقطعة الخبز خلسة ويلتقط هو أيضاً قطعة بطاطا.

الثاني: (ضاحكاً وهو ينظر إلى قطعة البطاطا في شوكة الأول ويرفع شوكته) أرأيت؟ قلت لك إنني قابلت نفسي.

يتجه الاثنان بالبطاطا إلى أفواههما ويحدث الشيء نفسه وترتد يد كل منهما عن فمه ويصمتان برهة في ذهول. لم يعد هناك مجال للمكابرة.

الأول : ليست الوحدة هي السبب...

الثاني: السبب في ماذا؟

الأول : في أننا لا نستطيع أن نأكل..

الثاني: لا، قطعاً ليست هي السبب.. (همساً) ما هو السبب إذاً؟

الأول : (يبتلع ريقه) لا أعلم، لا أعلم.. عن نفسي يبدو أنني لست جائعاً..

الثاني: نعم، نعم، ربما كان هذا هو السبب الحقيقي.. أنا أيضاً لست جائعاً.. الطعام يصبح بغيضاً عندما لا تكون جائعاً..

الأول : نعم، لابد أن هذا هو السبب، لسنا جائعين.. إنها عكس حالة الجوع تماماً، هل تعلم، كنت يوماً صائماً، وعندما عدت إلى المنزل لم أجد طعاماً جاهزاً.. كان التيار الكهربائي قد انقطع قبلها بساعات ولم يكن هناك إلا الخبز والزبدة.. لم أشعر بطعم الخبز والزبدة كما شعرت به في ذلك اليوم.. اكتشفت أن الخبز الذ شيء في الدنيا خاصة مع الزبدة.

الثاني: (ضاحكاً) بالطبع، الخبز المسكين! لا نعرف لذته وقيمته إلا عندما يأتي كخيار وحيد بعد طول جوع... أما أنا فقد اكتشفت لذة ما هو أغرب من ذلك.

الأول : حقاً؟ ما هو؟

الثاني: الخيار! هاهاها! تخيل! وجدت خياراً في الثلاجة وكنت جائعاً جداً فأخذت أنهشه.. يا إلهي كم كان لذيذاً ذلك اليوم، وهل تعلم، اكتشفت أشياء كثيرة عنه في تلك اللحظة.. إنه.. إنه غذاء متوازن.. متوازن حقاً.. به مشروع حلاوة بعيد الأمد.. به هنة ملح.. به شيء من الحمض.. به كل شيء هذا الخيار!

الأول : (ضاحكاً) نعم، إذا كان هو نجم لحظة الجوع!

الثاني: الغريب أننا لا نفكر في الجياع بلا خيار الذهاب إلى محل البقالة القريب أو حتى تناول خبز البارحة.

الأول : نعم، ذلك غريب حقاً، لماذا لا نفكر في جياع البلاد البعيدة، الذين لا يستطيعون الوصول إلى الثلاجة العامرة بأشياء ليست هي الخيار الأول.

الثاني: انتظر قليلاً، لماذا نتحدث عن الجياع الآن؟

الأول : لأننا لسنا جائعين، لذا فالطعام معطل أمامنا.

الثاني: (بوجه منكمش) فعلاً، نحن لسنا جائعين. (تصدر قرقرة من بطنه فيضع يده

مُحْرَجاً على بطنه)

الأول : ما هذا؟ أليس ذلك بطنك يعلن عن جوعك؟

الثاني: لا أعلم، الطبيعة أحياناً تثور على قوانينها.

الأول : (يضع يده على بطنه فجأة) نعم نعم، مثل القرقرة بلا جوع.

يهم الثاني بالابتسام ولكنه يوقف الابتسامة ويستبدلها بنظرة جادة بها شيءٌ من الإحباط والغيظ.

الثاني: بصراحة نحن نمثل! لم أتناول شيئاً منذ الصباح.. صحوت متأخراً ولم يكن هناك مجال لأي شيء قبل الغداء.

الأول : (منهاراً) وأنا مثلك تماماً، لم أتناول شيئاً منذ الصباح.

الثاني: نحن جائعان إذاً.

الأول : أنت مخطئ يا عزيزي، إننا نتضور جوعاً!

الثاني: تماماً.

الأول : لماذا لا نستطيع أن نأكل إذاً؟ لماذا؟!! ليست الوحدة هي السبب وليس الشبع هو السبب، ما السبب إذاً؟ (يضرب المنضدة بقبضته) ما السبب!

الثاني: اهدأ.. لنفكر في هدوء.

يصمت الرجلان ويسرحان قليلاً.

الثاني: هل تعتقد أن ذلك حدث لنا لأننا تصرفنا بنوع من الأنانية..؟

الأول : (بشيء من الضيق) أنانية؟ كيف؟

الثاني: آثرنا أنفسنا فهربنا وحدنا إلى هذا البذخ الفاخر.. لم نفكر في أسرتينا ناهيك عن...

الأول : مهلاً، مهلاً، ومن الذي كد وكدح واحتمل كل شيء ليوفر هذه النقود التي جئنا بها إلى هنا لنحظى بدفعة أخرى تمكننا من الجري مرة أخرى.. من الرقص حول النار.. من احتمال ما لا يحتمل.. ألا نستحق إجازة صغيرة بعد احتمال كل هذه الضغوط؟ إنني أحلم منذ سنوات بأيام قليلة أحياها في بلد ساحر في فندق فاخر.. حياةً ملوكية تنسيني همومي.. وبعد كل ذلك تستكثر علي هذه الأيام القليلة هنا؟

الثاني: لعلك محق، ولكن لا تغضب كثيراً هكذا، تعلم أنني أحاول جهدي أن أجد تفسيراً لما يحدث، هذا كل ما في الأمر.

الأول : شيء من التفهم والتقدير يا أخي.

الثاني: يكفي ذلك أرجوك! قلت لك إنني أعيش ظرفك ذرة بذرة. ألم أقل لك إنك مرآتي؟

الأول : وكفى تلصقاً بي. لست مرآةً لأحد.

الثاني: إنني لا أتلصّق بك.. أنت الذي دعوتني للجلوس معك! ثم إن هذا الغضب لن يساعدنا على الخروج من المأزق.

يتنهد الأول ويصمت ويستغرق الثاني في التفكير.

الثاني: هل تظن أنه التصنع إذاً؟
الأول : (مستهجناً) ماذا؟
الثاني: التصنع.. لماذا نحاول دائماً أن نبدو أفضل حالاً مما نحن عليه؟ أنا وأنت جمعنا هذا المبلغ من المال في عدد من السنين وجئنا هنا إلى أفخم فندق نندس بين الأثرياء متظاهرين أننا منهم.
الأول : ما هذا الذي تقوله؟ إننا لا نتظاهر بشيء.. فقط نريد أن نستمتع بما يستمتع به الآخرون. ما الخطأ في ذلك؟
الثاني: نوعٌ من التزوير. هل تصدق؟ عندما رأيتك من بعيد ظننتك أحد هؤلاء الأثرياء فإذا بك مثلي.
الأول : (بضيق) عزيزي، إذا كنت تريد أن تفكر ففكر بمزيد من العقلانية من فضلك، ما علاقة التصنع بالطعام؟ هذا على فرض أنه تصنع.
الثاني : فكر أنت إذا.
الأول : لا. فكر وحدك لأن دماغي الجائع لا يستطيع التفكير!
الثاني: يجب أن تفكر معي لأننا نعاني من المشكلة ذاتها.
الأول : لم تكن لدي مشكلة قبل اليوم الذي رأيت فيه وجهك!
الثاني: (بابتسامة ساخرة) وهل تظن أنه كانت لدي مشكلة قبل اليوم الذي رأيت فيه وجهك؟
الأول : لماذا يحدث لنا اليوم كل هذا، لماذا!
الثاني: لأنك قابلت نفسك!
الأول : (بضجر) كف عن هذا الهذيان من فضلك.
الثاني: يؤسفني أن أقول إن كل منا رأى نفسه على ما يبدو..
الأول : (يتنفس عميقاً محاولاً ضبط أعصابه) ولنفرض، لماذا يستعصي علينا الطعام في هذا اليوم الكئيب؟ (يلتفت إلى الثاني فيراه سارحاً بفكره) هل أنت معي؟
الثاني: عفواً.. لقد كنت أتفكر.. إنها ليست مجرد عدم قدرة على الأكل مثل الذي يشتكي منه المرضى عادة..

الأول : المرضى؟ (باهتمام) هل من الممكن أن نكون مريضين؟
الثاني: لا أعلم تماماً، ثم إن ذلك ليس ما يحدث للمرضى كما قلت لك.
الأول : لا، لا، أعتقد أننا فقدنا شهيتنا ليس إلا.
الثاني: ولكننا لم نفقد شهيتنا.. إننا عاجزان عن الأكل! هل تفهم؟ عاجزان!
الأول : من يفقد شهيته يعجز عن الأكل، وتذكرت شيئاً.. عندما أكون مرهقاً جداً لا أستطيع أن أنام ، ربما "عجزنا" عن الأكل لأننا جائعان جداً..؟
الثاني: (يهز رأسه نفياً) لا، ثم إنه ليس مجرد عجز عن الأكل.. هناك شيء آخر.. (بصوت حذرٍ كالهمس) لقد رأيت وجهك عندما يقترب الطعام من فمك.. رأيته!
الأول : (يضطرب) ما.. ماذا؟
الثاني: نعم رأيته.. رأيته مرعوباً، ما أن يقترب الطعام من فمك حتى يظهر الرعب الشديد على وجهك مع الدهشة، لماذا؟

الأول : (متلعثماً) هـ.. هراء! هراء!
الثاني: (بحزم) بل هو حقيقة وأنت تعلم ذلك! لا تتكر الرعب الذي يظهر في عينيك مع الدهشة الشديدة.
الأول : (يبتلع ريقه ثم يقترب من الثاني) وهل سمعت الصراخ؟
الثاني : أي صراخ؟
الأول : (همساً) صراخ الطعام.
الثاني : صراخ الطعام؟
الأول : نعم.. الطعام يصرخ عندما أقترب به من فمي.. لا يريدني أن آكله.. إنه يستغيث... تخيل؟
الثاني : ماذا؟ هذا جنون.
الأول : إذن فأنت لا تسمعه..
الثاني : قطعاً لا أسمعه! ولكن... هذه حالة جنون يا عزيزي.
الأول : وماذا عن أمرك أنت؟ هل رأيت وجهك عندما يقترب منه الطعام؟ لقد رأيتك من بعيد، ثم رأيتك أمامي هنا.. إنه يحمر خجلاً.. يقطر خزياً وخجلاً.. لماذا؟! أخبرني لماذا!
الثاني: (بحرج) هل .. هل رأيت ذلك؟ لن أنكره على أية حال.. هذا ما أشعر به فعلاً.
الأول : هل يصرخ طعامك أيضاً؟
الثاني : لا، لا، إنه... يتعرى.. يتعرى تماماً أمامي.. بشكل يخجلني.. ألم تلاحظه؟
الأول : ومن المجنون الآن؟ هل يعقل أن يتعرى الطعام؟ إنه بلا ملابس أيها المجنون.
الثاني: هذا ما أشعر به ولا أعلم لماذا. (يقترب من الأول) هل عرفت لماذا أقول إننا يجب أن نفكر معاً؟ إنها مشكلتنا نحن الاثنان.
الأول : هل نحن مريضان؟ مجنونان؟
الثاني: يبدو ذلك ولكن بما أنه يحدث لنا للمرة الأولى ولنا معاً فلربما كان هناك تفسيرٌ آخر يجب أن نفكر لنتوصل إليه.
الأول : (ينتهد ويرفع المنديل عن ركبتيه ويضعه على المنضدة) ربما.. ولكني لن أفكر في شيء الآن. الآن أريد فقط أن آكل!
الثاني : (ساخراً)كل إذن إن استطعت.
الأول : هل تتحداني؟
الثاني : لا أبداً.. ولكن إن شئت فسأتحدى. أعلم أنك لن تستطيع.
الأول : تفضل إذاً! (يلتقط بحركة متحدية تفاحة من سلة الفاكهة ويسرع بها إلى فمه ولكن يده ترتد إذ يسمع الصرخة)

يبتسم الثاني ويقذف الأول بالتفاحة في السلة.

الأول : (بانكسار) لا تقل لي إنك لم تسمع الصرخة..
الثاني: (متنهداً) طبعاً لم أسمعها.. اسمع، أعتقد أننا يجب أن نستريح قليلاً (يشير إلى النادل الذي يحمل فاتورته)
الأول : إنك محق. (يشير إلى النادل الآخر الذي يحمل فاتورته هو)

يأتي النادلان ويضع كل منهما الفاتورة أمام صاحبها ويلقي الرجلان بالنقود فوق الفاتورتين ويهب الأول.

الأول : إنني حقاً مجهدٌ ومحبط، سأذهب لأغفو قليلاً.

الثاني : (ناهضاً) وأنا أيضاً سأحاول أن أفعل... هل أقول أراك فيما بعد؟

الأول : سمعتك تسأل الجرسون عن المخرج المؤدي للبحر، متى ستذهب إلى هناك.

الثاني : في الرابعة والنصف عصراً.

الأول : أراك إذن في الرابعة والنصف عصراً على الشاطئ. (ينظر إلى الثاني متحدياً) وسأكون قد أكلت!

* * *

المشهد الثاني

شاطئ جميل تفرش الرمال الناعمة أرضه، زرقة السماء التي تتخللها غيوم بيضاء بعيدة تحيط بالشاطئ وفي منتصف المسرح إلى اليمين ثلاثة كراسي شاطئية مخططة اثنان منها عليهما فوط مطوية أما الثالث ففوطته المستعملة ملقاة في وسطه بإهمال. وإلى الشمال لافتة كبيرة معلقة بحلقتين معدنيتين على القضيب العلوي الأفقي لهيكل من القضبان شبيه بالهيكل الذي تعلق عليه المراجيح إلا أنه أخفض منه، كُتب على اللافتة:

خطر !
لا تتوغل في البحر أكثر من مائتي متر ولا تدخله بعد الغروب
منطقة حيتان

وإلى الشمال، في عمق المسرح عربة آيس كريم.

يظهر الأول من بعيد مرتدياً بدلة رياضة سوداء وهو يتجه إلى البحر (مقدمة المسرح والصالة) وبيده آيس كريم فيما يدخل الثاني أيضاً مرتدياً بدلة رياضة سوداء من أقصى الشمال ويشتري آيس كريم. الهواء المرح يأتي من كل اتجاه ويلهو بشعر الرجلين وملابسهما ويؤرجح اللافتة الحديدية بين الفينة والفينة محدثاً نوعاً من الصرير، وتسمع أصوات أمواج البحر تتخللها أصوات الناس وضحكاتهم ولهوهم. يلاحظ الثاني الأول الذي يسبقه بخطوات.

الثاني: (رافعاً صوته وهو يسير باتجاه الأول) مرحباً.

الأول : (ملتفتاً إلى الخلف حيث مصدر الصوت) مرحباً. (يقف انتظاراً لوصول الثاني) هل نمت جيداً؟

الثاني: نعم، نمت قليلاً. وأنت؟

الأول : أنا أيضاً نمت قليلاً.. أنت أيضاً لم تستطع مقاومة الآيس كريم؟

الثاني: لا طبعاً. سألتهمه حالما نستقر. أين تريد أن تجلس؟

الأول : لماذا لا نتمشى قليلاً بمحاذاة البحر؟

الثاني : حسناً. ما أجمل هذا الشاطئ! (يتأمل البحر) ولكني جائع، لنأكل الآيس كريم أولاً ثم نتمشى.

الأول : حسناً، أين تريد أن تجلس؟

الثاني : ذينك الكرسيان ليسا مشغولين.

يتجهان إلى الكرسيين الشاطئيين ويجلسان عليهما باسترخاء.

الأول : والآن جاء وقت الآيس كريم اللذيذ.

يقترب كلّ من الرجلين بالآيس كريم من فمه فتُسمع الصرخة ويحمر وجه الثاني ويظهر الرعب والاستغراب على وجهي الرجلين. يعيدان الكرة فيحدث الشيء نفسه فيلتفت كل منهما إلى الآخر في دهشة.

الأول : (مذهولاً) لقد كنت أظن أنها لحظة كابوسية وانتهت.
الثاني : وأنا حاولت ما استطعت تناسي ما حدث اليوم لأوهم نفسي بأنه كان لحظة كابوسية ليس إلا، ولكن هاهو يحدث مرة أخرى.
الأول : كان من الخطأ أن نلتقي الآن.
الثاني : لماذا؟
الأول : إنه وجهك يا عزيزي! لم يحدث لي هذا الشيء قبل رؤيتك.
الثاني : وجهي؟ قلت لك إنه لم يحدث لي ذلك قبل اليوم.. قبل أن ألتقيك.. ثم أخبرني: عندما تركتني هل أكلت شيئاً؟
الأول : بصراحة.. لا. في الثالثة طلبت كوباً من الشاي وشيئاً من البسكوت ولكن حدث الشيء نفسه.
الثاني : لم يكن وجهي السبب إذا.
الأول : (يتنهد) أرجوك لا تغضب مني. إنني متوتر جداً بسبب هذه الحالة الغريبة..
(يقترب من الثاني قليلاً ويهمس) تخيل، حتى الشاي صرخ مستغيثاً.
الثاني : أما أنا فقد طلبت كوباً من القهوة... و... نعم. حتى القهوة أخذت تتعرى أمامي..
الأول : (ضاحكاً) أخبرني.. كيف تبدو القهوة وهي عارية؟
الثاني : (ناظراً إلى الأول بعتب) سأفعل عندما تخبرني أنت أين فم الآيس كريم الذي تخرج منه الصرخة. (يقلب الآيس كريم في يده متفحصاً) أين هو؟ أرجوك دعني أراه.
الأول : (يزداد ضحكه ويشاركه الآخر الضحك) أخبرني.. قل لي بصراحة.. بصراحة جداً جداً، هل نحن، أنا وأنت هاربان من مصحة ما؟
الثاني : هل كنت أنت في مصحة؟
الأول : لا طبعاً.. إنني رب أسرة عادي، وأعتقد أنك كذلك.

الثاني: نعم.. أنا/ أنت رب أسرة عادي.. رجل عادي لم يشكِ قط من خلل في اتزانه.
الأول : إذن لماذا نرى ونسمع ما رأيناه وسمعناه اليوم؟
الثاني : ربما وجودنا معاً..

يسرح الأول قليلاً ثم يصرف نظره إلى الأمام حيث البحر.

الأول : (يستنشق الهواء) امم! ما أجمل البحر.. أملي عظيم في أنه سيستوعب همومنا.
الثاني : حقاً، لماذا نحب البحر.. أعنى.. إنه أكثر من الحب..إنه شيء كالثقة.. كالإيمان.. لماذا "نؤمن" أن البحر كفيل باستيعاب همومنا؟
الأول : لا أعلم.. ولكني في هذه اللحظة أعلم شيئاً واحداً: هو أنني أريد أن أؤمن أن البحر سيبدد متاعبي.. سيعالجني.. (يستنشق الهواء بعمق ويوجه نظره إلى البحر (الأمام)) هيا أيها البحر العظيم .. بدد متاعبي.. اجل همومي..
(يسمع تضاحك الثاني فيلتفت إليه) ألستَ من محبي البحر؟
الثاني : بلى.. إنني نسخة منك كما تعلم.. بيد أني الآن، في هذه اللحظة، أكثر

تشاؤماً. لا اعتقد أن البحر قادرٌ على حل ما عجزنا عنه.

يتنهد الأول ويعود بنظره إلى البحر ويصمت الاثنان تاركَيْن المجال لصوت الأمواج وأصوات الناس وضحكات الأطفال القادمة في ثنايا هواء البحر.

فاصل موسيقي.. أثناء الفاصل تتغير الإضاءة دالة على اقتراب مغيب الشمس ويترك الاثنان مكانهما على الكرسيين. يظهر الأول مستلقياً على الرمل على بطنه ومتكئاً على كوعيه وهو يتأمل البحر وإلى جواره يظهر الثاني جالساً على الرمل أيضاً.

الأول : إنني أغبط أولئك الناس.. إنهم سعداء وليس لديهم مشكلة.

الثاني : ما أدراك بذلك؟

الأول : أنظر إليهم! ألا يبدو أنهم مستمتعون باللهو في البحر؟ إنهم.. إنهم ..يلعقون الآيس كريم (يضحك الثاني) وتلك الطفلة (يبتسم) إنها تلتهم الآيس كريم التهاماً. (يجلس فيبدو جاثياً على ركبتيه في مواجهة البحر ويخاطبه) هيا.. هيا أيها البحر العظيم.. تعال إليَّ فإني غير قادر على الذهاب إليك.. تعال إليَّ واسحبني إليك، اسحبني كيف تشاء.. اجرفني إليك ولن أقاوم واذهب بي حيث تشاء.. خذني بعيداً بعيداً.. إلى العوالم السحرية، إلى وكر الحيتان.. إلى أي مكان تشاء..

الثاني : (ضاحكاً) إلى أي مكان تشاء شريطة أن تمكنني من لعق هذا الآيس كريم.

الأول : لماذا تشوه اللحظة؟ لماذا تشوه مناجاتي للبحر؟

الثاني : أليس هذا ما تريد؟

الأول : ربما، ولكنني لا أحب أن يُعبر عن رغبتي بهذه الصلافة والمباشرة.. لنقل إنني أريد أن يجرفني البحر، بعيداً جداً، جداً.. إلى مكان تتحقق فيه الأحلام.

الثاني : لأنك تريد الهروب من هذا الواقع، واقع أنك لا تستطيع أن تأكل الآيس كريم.

الأول : تباً لك، إنك تشوه اللحظات القدسية..

الثاني : حسناً سأسألك سؤالاً واحداً في منتهى البراءة: هل تستطيع أن تأكل الآيس كريم الآن؟

الأول : (بغضب) سآكله! سآكله ولو ملأ الدنيا صراخاً!

يقترب بالآيس كريم من فمه وتسمع الصرخة ولكنه يغمض عينيه ويغوص رأسه في كتفيه ويحاول وضع الآيس كريم على شفتيه ولكن الصراخ يعلو فيعود فيبعده عن فمه مذهولاً.

الأول : ما هذا الذي يحدث اليوم؟ (صارخاً) ما الذي يحدث؟!

الثاني : لماذا هذا الانفعال؟ شيئاً من الصبر يا عزيزي.

الأول : لن أصبر!

يتنهد الثاني ويصمت الاثنان برهة وتسود أصوات أمواج البحر وهمهمة الناس وضحكات الأطفال وصراخهم المرح القادم من بعيد، ويستنشق الأول

مزيداً من هواء البحر.

الأول : هل تعلم ما الذي حدث لنا؟

الثاني : لديك تفسيرٌ جديد؟

الأول : نعم.. أعتقد أننا بطريقة ما سقطنا خارج نواميس الكون.

الثاني : ماذا؟

الأول : نعم، نعم، ليس هناك تفسير آخر. قوانين الكون تقول بأن الطعام جماد صامت.. فإذا أصبح له صوت يصرخ به وملابس يتعرى منها كالإنسان فلابد أن هناك خللاً ما. ولكن بما أننا فقط دون غيرنا -ونحن بكامل قوانا العقلية- شهدنا ذلك فلابد أننا سقطنا خارج هذه القوانين.

الثاني : اصمت من فضلك. كف عن هذه التفسيرات المجنونة. كيف بالله نسقط خارج القوانين؟ ها؟ أخبرني كيف!

الأول : صدقني. لابد أنه في لحظة ما انحرفت نواميس الكون قليلاً محدثة فجوة فسقطنا خارجها أنا وأنت في هذه اللحظة.

الثاني: ولم أنا وأنت فقط؟

الأول : لأننا متشابهان في معظم الظروف.. لابد أن اجتماعنا في مكان واحد قد فعل شيئاً.

يظهر الاهتمام على الثاني ويعدل كل منهما جلسته فيتقابلان تماماً. كل منهما ممسك بالآيس كريم ويحدق في الآخر.. يتأمله ملياً وكأنه ينظر في مرآة ويبحث عن شيء في وجهه.

الثاني : (وهو يهز رأسه نفياً) لا، لا، لقد ذهبت بعيداً في تفسيرك. إنك تهذي. (ينهض عائداً إلى الكرسي المخطط)

الأول: (يعود محبطاً ومتحفزاً إلى الكرسي المخطط ويجلس عليه ثم تنتابه حالة الغضب ثانية) عموماً، سأتجاهل الأمر برمته ولا شأن لي بهذا! لا! شأن لي! بهذا! (يلقي بالآيس كريم على الأرض بعنف)

الثاني: (يجلس جلسة جادة على الكرسي) أما أنا فسآكل هذا الآيس كريم اليوم.. بعد قليل. سأصبر إلى أن أتوصل لأصل المشكلة، وسآكله، وسترى!

موسيقى الفاصل الزمني.. الإضاءة تدل على الغروب. تقترب طفلة من الكرسي الثالث وتلتقط الفوطة المستعملة فتلتحف بها وتمضي. تُسمع أصواتٌ تدل على مغادرة الناس للبحر في ثنائيات وجماعات ولا تعود تسمع إلا أصوات أمواج البحر والريح وصرير اللافتة المعلقة بين الفينة والفينة. الرجلان ما يزالان جالسين حافيين على الكرسيين الشاطئيين. الثاني ممسك ببسكوتة الآيس كريم وقد ذاب الآيس كريم بداخلها وسال ملوثاً يده وملابسه.

الأول : (يلتفت إلى الثاني ضاحكاً) ألم أسمعك تقول إنك ستأكل هذا الآيس كريم اليوم؟ أين هو الآن؟

الثاني : (يتنهد) المشكلة أكبر مما توقعت..

الأول : لم تأت بجديد يا عزيزي.

الثاني : لا، لا، أنا أعني هذا. إننا فعلاً في ورطة. (يضع الآيس كريم بجواره على الأرض)

الأول : (يضحك ثانية)حتى هذه ليست جديدة.

الثاني : اسمع الجديدة إذن: أنا/أنت مريض عقلياً.

الأول : هذا سخف!

الثاني : حقاً.. لا أكذب عليك. هل يعقل أن يصرخ الطعام؟ من أين سيصرخ؟ ثم أنه لا يسمع الصراخ إلا أنت.

الأول :كما أنه ليس للآيس كريم ملابس ليخلعها.

الثاني : قلت لك إننا مريضان! أنا/ أنت مريض!!

الأول : ولماذا يمرض أنا/ أنت اليوم فقط، وهنا؟

الثاني : اسمع، إننا نعاني حقاً من مشكلة ما، هيا نحاول حلها.

الأول : حلها؟ وهل بيدك حلها أيها المسكين؟

الثاني : طبعاً، هيا.. تحدث، أخبرني المزيد عن حياتك.

الأول : (ساخراً) حسناً يا دكتور. (يتردد قليلا) بالمناسبة، هل أنت طبيب نفسي؟

الثاني : لا لا لا، لست طبيباً نفسياً على الإطلاق (متردداً) فقط أعرف الكثير من القصص.

الأول : قصص؟

الثاني: أعني .. لدي خبرة فيما يختلج في قلوب الناس.

الأول : (ضاحكاً) بدليل أنك عاجز عن حل مشكلتك! هل نسيت أن هذه مشكلتك أيضاً؟

الثاني : لا لا. أعني لنحاول سوياً. أعتقد أننا في لحظة نادرة نصطدم بالمرآة..

الأول : ومن هو المرآة؟ أنا أم أنت.

الثاني : لا فرق.. أنا/أنت.

الأول : وماذا حدث عندما اصطدمنا؟

الثاني : (يفكر برهة) بصراحة لا أعلم. لا أعلم شيئاً على الإطلاق.. لذلك يجب أن نتحدث.

الأول : حسناً، عن ماذا تريدنا أن نتحدث؟

الثاني : عن كل شيء. من أنت؟

الأول : أنا رجل بسيط.. لم أوفق كثيراً في دراستي فدخلت أول مجال تم اقتراحه عليّ.. لم أحبه كثيراً ولكني يجب أن أتزوج ويجب أن أربي أبنائي.. يجب ألا أغامر بترك العمل..

الثاني : إنك تروي حياتي.

الأول : أنت أيضاً؟

الثاني : نعم. ولكني كنت أكلف بأشياء متنوعة بن الفترة والأخرى كلها تصب في القالب نفسه وليس لي أي خيار آخر سوى قبولها كرتب ومهمات متعلقة بالوظيفة.

الأول : أنت الآن تروي حياتي.

الثاني : هل كرهت عملك؟

الأول : أحياناً أشعر أنني أكرهه جداً، وعندما أحاول التكيف معه وأشعر أني أحبه

وأستمتع به.. أكره نفسي.. أكرهها جداً.

الثاني : مثلي تماماً. ولكنك لا تجرؤ على ترك وظيفتك للبحث عن عمل آخر.

الأول : تماماً...

الثاني : لماذا لم نستطع ذلك؟ هل كنا نحاول بجدية؟

الأول : من ناحيتي، كنت جاداً في بعض الأحيان ولكني كلما هممت بتركها برزت مسؤوليات بيتي وأرعبني طابور المنتظرين ليحلوا محلي.

الثاني: تماماً... عندها نجبن .. نتراجع.. نتقهقر ونغلق فمنا.. نغلقه تماماً..

الأول : نعم، نعم، هذا ما يحدث. دائماً نريد أن نطعم أولادنا ونكسوهم. لا نجرؤ على المغامرة بمستقبلهم.

الثاني : لا طبعاً. لذلك فإننا نقضي بقية عمرنا نتجرع هذا العمل..

تتغير الإضاءة ويصبح الجو ليلياً.

الأول : أتعلم، العمل وخاصة الحكومي أشبه بالحمار الذي تركبه من أجل نزهة بسيطة ثم تفقد السيطرة عليه نهائياً فيعربد بك حيث يشاء..

الثاني : (ضاحكاً) يا له من تشبيه! إنه حقاً كما تقول. دائماً نركبه حماراً.. الغريب أننا نشعر بالزهو في بداية الأمر ولكن سرعان ما نكتشف أننا ركبنا أشد الحمير عناداً..

الأول : ولكن ليس الجميع هكذا، لابد أن هناك من يستطيعون الترجل عن هذا الحمار.

الثاني : نعم، أولئك من يمتلكون الخيارات. حمار أولئك ليس في عناد حمارنا.

الأول : (متضاحكاً) أعتقد أنه سوء حظنا.

الثاني : انتظر قليلاً، أليس من المحتمل أن تكون الحالة التي نحن فيها نتيجة لرفض قيود الوظيفة وربما بقية قيودنا الحياتية؟

الأول : لست متأكداً من ذلك.

الثاني : نعم نعم.. حياتنا كأفراد هي الخبزة التي نأكلها.. وبما أننا ننشد التحرر منها فإننا نرفض أكلها.

الأول : هراء!

الثاني : لماذا؟

الأول : وكأنك تقول إننا لا نريد أن نعمل عملاً آخر وأن ما يضايقنا فقط هو تقييد حريتنا.

الثاني : أليس الحال كذلك؟

الأول : (متنهداً) لا أظن، لا أظن على الإطلاق. القيود تطوقنا من جميع الجهات.

الثاني: أما أنا فإني متأكد من أن هذا هو ما نعاني منه.. لقد تمادينا فطوقنا أنفسنا بكل شيء.. نأكل لنعيش، نلبس لنكتسي، نشاهد التلفزيون لنرفه عن أنفسنا، ثم نتمادى في كل شيء.. وأنظر إلى أي شاطئ وصلنا... أجل.. إننا نريد الانطلاق.. نريد التحرر من جميع القيود الوظيفية والاجتماعية وكل شيء.. ربما أصبحنا نشعر بذلك لأننا اكتفينا بقبول الشيء ولم نشترط الرضى التام به. (يضع كفيه تحت رأسه ويسترخي) نعم. هذا ما نعاني منه. (ينهض جالساً فجأة) اسمع، نستطيع أن نأكل الآن.

الأول : هل أنت متأكد؟
الثاني : نعم. وفق ما يقول المحللون النفسيون فإن التوصل لسبب المرض النفسي يحل المشكلة تلقائياً.
الأول : كل إذاً. أنا الآن أتحداك! هيا!
الثاني : حسناً. سأثبت لك!

يلتقط بسكوتة الآيس كريم التي كان قد وضعها جانباً بما فيها من آيس كريم ذائب ويتجه بها إلى فمه ولكنه يبعدها سريعاً عن فمه ويغمض عينيه احمر وجهه. يضحك الأول بينما يفتح الثاني عينيه مندهشاً وينظر في البسكوتة. ثم ينتابه غيظ شديد فيقذف بها على الأرض.

الأول : ماذا، هل نفد صبرك؟
الثاني : (ينفخ بغيظ) لا فائدة لا فائدة. لاااا فاااائدة!!

يصمت الاثنان برهة.

موسيقى الفاصل الزمني. يصبح المكان داكناً لا يضيئه إلا ضوء القمر. الرجلان ما يزالان في مكانهما والصمت يسود إلا من صوت الأمواج والريح وصرير اللافتة المتقطع.

الثاني : (بصوت متهالك) لماذا هذا الصرير؟ نجم أي لحظة هو؟ لحظة اليأس أم لحظة جوعنا المشترك هذا المساء؟ ولكن الجوع هو نجم هذه اللحظة.. مثل الموت إذ هو نجم الجنازة.
الأول : لماذا لا نعود الآن إلى الفندق؟

يتجاهل الثاني اقتراح الأول ويصمت برهة ثم يهب واقفاً فجأة ويندفع إلى الأمام نحو البحر ويمشي خطوات في مياهه. يهب الأول وينطلق خلفه ويمسك بذراعه.

الأول : انتظر، هل جننت؟ هل تريد أن تسبح في الظلام؟ وبملابسك؟
الثاني : (بانفعال) وماذا في ذلك؟
الأول : ألا ترى أن البحر أصبح فارغاً؟ لقد خرج الجميع منه.
الثاني : ومن قال لك إني أبحث عن الناس.. أترك ذراعي. دعني أذهب.
الأول : هل نسيت التحذير على تلك اللافتة؟
الثاني : لا يهمني!
الأول : ولكنك الآن ضعيف جداً وجائع وتشعر بالبؤس، ليس من الحكمة أن تتوغل في البحر. ذلك خطر عليك.
الثاني : اتركني من فضلك. لا شأن لك بي.. الخطر يعني احتمال الموت أليس كذلك؟ في هذه الحالة فلا خطر عليّ لأن الموت لا يخيفني. لم يعد يفعل. ولأنه لا يخيفني فلن أنتظره بل سأذهب إليه وله مطلق الحرية في أن يأخذني أو يدعني.
الأول : يا إلهي. لقد أصبحت في منتهى اليأس.

الثاني : ابق أنت هناك واحلم بالخلاص، أما أنا فعدت يائساً.. وهذا أحكم قرار توصلت إليه اليوم!

الأول : هيا.. هيا نجلس هناك، بمقهى الفندق أو بقاعة الاستقبال ونفكر.. لا بد أن هناك مخرجاً سنصل إليه بالتفكير، أليس هذا كلامك؟

الثاني : كان!

الأول : ماذا حدث الآن؟

الثاني : اكتشفت أن ذلك هراء.. لقد كنتَ محقاً عندما قررت من البداية أن تستعين بالبحر... أنا الآن سأدخله.. سأغوص في مياهه.. سأمتزج به.. إنه مساحة من المادة الـ..حية.. المليئة بالحياة.. (يتنهد) أعلم أنه لا فائدة من شيء ولكني أريد ألا أفكر في شيء آخر.. فقط أريد أن أكون هناك (ينظر بعيداً جداً إلى نقطة داخل البحر) لا شيء يثير المرح مثل البحر.

الأول : أنت تهذي.. أي مرح هذا الذي سيثيره البحر الآن بمياهه الباردة الداكنة؟ الآن لن يثير البحر فيك إلا مزيداً من الشعور بالوحشة.

الثاني : فليكن!

الأول : انتظر أيها الأحمق. حتى عامل الإنقاذ ذهب مع الناس، لو توغلت في البحر فلن تعود سالماً.. ثم.. ألا تشعر ببرودة الماء تحت قدميك؟

الثاني : (ينفض يد الأول) قلت لك دعني! دع البحر يخفف آلامي، دعه ينير عقلي الذي أرهق من التفكير بلا جدوى.

يتقدم الثاني خطوات أخرى فيلحق به الأول ويقبض ثانية على ذراعه.

الأول : هل جننت؟ هيا عد لنمضي هذه الليلة التعيسة بالفندق ثم نعود غداً صباحاً كل إلى حياته الخاصة بلا مرايا كابوسية.

يحاول الثاني التخلص من يد الأول والمشي وعندما يعجز يكتفي بالوقوف بينما يرفع الأول إحدى قدميه من الماء ثم يعيدها ويرفع الأخرى كشأن المتأذي من برودة الماء.

الأول : يا الله، لقد أصبح الماء بارداً حقاً.. هيا.. عدت غير قادر على الوقوف هنا.. هيا أيها الأحمق.. ستعود غداً إلى بيتك الدافئ.

الثاني : ما الذي يؤكد لك أننا سنعود إلى طبيعتنا؟

الأول : مجرد شعور..

الثاني : لن يثنيني "مجرد شعور".

الأول : أعني شعورٌ قوي..جداً جداً.. كاليقين.. صدقني.

يتنهد الثاني ثم يتراجع عن المياه.. يسير الأول نحو كرسيه ويتناول الفوطة فيلتحف بها ويلتقط الأخرى ويسير بها نحو الثاني. يتناول الثاني الفوطة ويمسح بها قدميه ثم يسير حيث القضبان المنصوبة التي علقت عليها اللافتة وينشر الفوطة على القضيب الأعلى الأقصى ويضع ذراعيه عليها متكئاً بهما ويتأمل البحر. بياض الفوطة يبدو نقطة مضيئة في المكان.

الثاني : أعتقد أنك محق عندما قلت إننا خرجنا من نواميس الكون.. أعتقد أننا حقاً خارج النواميس.. ما حدث اليوم لا يسير بأي حال من الأحوال وفق نواميس الكون..

الأول : لقد كنت أهذي! مثلك الآن تماماً..

الثاني : لا .. لم يكن هذياناً.. عندما يصبح للطعام روح ووجود كوجود آكله الإنسان فلا بد أن هناك انحراف عن نواميس الكون.

الأول : ولكن..

الثاني : نعم! هناك انحراف.. إننا حقاً نعيش لحظة انحراف عن النواميس.. إننا الآن خارجها تماماً..

الأول : اسمع يا عزيزي.. أعتقد أن هناك أيضاً التفسير الآخر وهو أننا.. أننا.. مريضان.

الثاني: (يلتفت إلى الأول) لست متأكداً من ذلك الآن.. لم يحدث هذا قبلها لا لي ولا لك ولا لأي أحد في هذا العالم.. ولو كان مرضاً لما حدث لنا الآن في وقت واحد..

الأول : ولكن ألا تذكر من كانوا معنا بالمطعم؟ كلهم أكلوا وشربوا. لم يستغث طعامهم ولم يتعر من ملابسه. لماذا لم يسقطوا معنا؟

الثاني : لم يسقط في لحظة الانحراف إلا أنا وأنت..

الأول : لماذا نحن فقط؟

الثاني : (بضعف شديد) يا إلهي، هل سنبدأ من جديد؟

الأول : (يتنهد) حسناً.. لن نبدأ من جديد.. إننا متعبان جداً. هيا نعود إلى الفندق.

يتجاهله الثاني وينظر إلى البحر ملياً وهو يتأمله بتمعن.. يركز بصره عليه بكل جزيئاته، يمر بنظره على أرجائه البعيدة شبراً شبراً وكأنه ينظر إلى عالم غامض يريد أن يفهمه، أن يستأنسه، أن يتودد إليه، أن يبثه ما يعتلج صدره ويستجدي منه الخلاص.

الثاني : أريد أن أبقى مع البحر، أريد أن أتأمله..

الأول : (وقد بدأ يتضايق من برودة الجو) لماذا لا تتأمله من نافذة غرفتك؟

الثاني : أريد أن أتأمله عن كثب.. إنه عالم غامض مثل نفسي..

الأول : مثل نفسي.. (يتأمله مع الثاني ثم يعبس) إنه يثير القشعريرة.. إنه ملئ بالأمواج الباردة والظلمة والحيتان.

الثاني: وهل تظن أن نفسي خالية من الأمواج الباردة والظلمة والحيتان؟

الأول : لا طبعاً.. (هامساً) أعرف نفسي..

الثاني : أنا/أنت سقط من نواميس الكون.. في ظلمة نفسي/نفسك.

يظل الثاني يتأمل البحر ملياً وينقل بصره بين جزيئاته برهة أخرى ثم يتنهد ويترك القضبان ويعود إلى كرسيه فيتساقط عليه بشيء من الإعياء ويسير الأول خلفه حتى يجلس على كرسيه جلسة استرخاء كالاستلقاء مثل الثاني.

الأول : (بهدوء) انتصف الليل..

الثاني : فلينتصف ما طاب له الانتصاف.

الأول : لقد برد الجو كثيراً.
الثاني : فليبرد ما طاب له أن يبرد.
فجأة يعدل الأول كرسيه فيجعله في وضع مستقيم أقرب إلى وضع كرسي المكتب منه إلى الكرسي الشاطئي ويعدل كرسي الثاني.
الثاني: (بانزعاج شديد) لماذا فعلت هذا؟ (يهم بإعادة الكرسي إلى وضعه المسترخي ولكن الأول يمنعه)
الأول : لقد كنتَ محقاً في أن الخروج من هذه الحالة لن يتأتى إلا إذا فكرنا في الحل. هيا نفكر الآن بجدية.. من المحال أن نستسلم هكذا ونستلقي كجثتين هامدتين لا إرادة لهما.
الثاني : (بصوت محبط وغاضب) ومن قال لك إن لنا إرادة.
الأول : أشعر أننا لم نستنفد جميع الاحتمالات، ويجب أن نستنفدها قبل أن نستسلم.
الثاني : كيف أيها الحكيم؟
الأول: بصراحة.. كنت أريد الاعتماد عليك أنت في هذه المسألة. أنت الذي تتفلسف منذ الصباح.
الثاني : لا لا.. لقد أغلق عقلي.. عد بعد ثلاثة أيام.
الأول : لا مجال للمزاح الآن.. يجب أن نفكر!
الثاني : تعني تفكر!
الأول : لا لا.. أنت من يجب أن يفكر.
يشيح الثاني بوجهه ويصمت.
الأول : لا بد أن أفكر أنا إذا.. ولكن كيف أفكر ومن أين أبدأ؟ إنني لا أجيد التفكير.. لا أجيد التفكير أبداً.. صدقني.
يتجاهله الثاني فيسرح الأول قليلاً ثم تظهر عليه أمارات الحيرة والارتباك ويلتفت حوله.
الأول : ماذا يعني ذلك؟ أننا انتهينا؟ (يتهدج صوته) هل انتهينا؟ (يلتفت حوله جزعاً) انتهينا إذا! يا إلهي! (صارخاً) الرحمة! الرحمة! الرحـ... (يشهق فجأة ويضع يديه على فمه وهو يفتح عينيه فيما يشبه الدهشة)
يلتفت إليه الثاني.
الثاني : ما بك؟ لماذا صمتَّ فجأة؟
الأول : يا إلهي.. إنه مرض عضال..
الثاني : ماذا؟
الأول : نعم نعم.. لابد أن نفوسنا الصدئة تنتقم..
الثاني : من ماذا؟
الأول : من أجسادنا الصدئة.
الثاني : لا حول ولا قوة إلا بالله.. جن الرجل.
الأول : صدقني. إنها تنتقم.. ليس فقط من أجسادنا الصدئة وإنما أيضاً من جوانبها

الأخرى.. أنفسنا لها جوانب أخرى لا نرى انعكاساتها إلا في المرايا التي لا نمتلكها.. إنها الثورة.. الثورة.. (يضع يديه على فمه ثانية) رباه، من أنا لأطلب الرحمة؟

الثاني: ما الذي حدث لك الآن؟

الأول : إن نفسي غاضبة على نفسي.. نفسي التي توحشت واستشرت وحولتني إلى وحش..أنا وحش.

الثاني : أنا/أنت؟

الأول : أنا/أنت/الإنسان... أنا/أنت/الإنسان مخلوق ضاري..

أنا/أنت/الانسان هو المخلوق الوحيد الذي باستطاعته أن يفعل بنفسه كل ذلك.. هو الوحيد الذي يستطيع أن يقسو.. أن يستثمر الألم.. أن يتسلق على الجروح.. أن يفعل ما أفعله.. أنا.. أنا رهيب!

الثاني : أنا/أنت/الانسان؟

الأول : أنا/أنا.. هل تعلم ماذا أفعل؟ (بصوت متهاوي) إنني أجلد الناس.. أعذبهم.. أركلهم.. أذلهم.. أقتلع أظفارهم وكرامتهم حتى يصرخون.

يشهق الثاني ويحدق في الأول باشمئزاز.

الأول : .. عندئذٍ تأتي فرحتي الكبرى.. كلما علا صراخهم استبشرت خيراً.. علو صراخهم هو وليمتي الكبرى التي أرقص حول نارها.. هل تعلم لماذا؟ لأنهم عندئذٍ سيقولون الأشياء التي ينبغي عليهم أن يقولوها.. كلما علا صراخهم ازددت عدواناً وشراسة حتى تأتي اللحظة التي أريدها.. اللحظة التي تخرج فيها الحقائق.. لا أعلم إن كانت حقائق أم هذيانات يتقون به سياطي، إلا أنها معلومات على أي حال.. معلومات أنتزعها انتزاعاً من أفواههم .. أنتزعها فتخرج بدمائهم، فأضعها في تقارير وأسجل نجاح مهمتي..

ينكس الأول رأسه ويحول الثاني بصره عنه متوجهاً إلى الأمام تائه النظرة.

الثاني : (بصوت متهاوي) أما أنا فأتلصص على الناس، أسترق خلجاتهم.. أضع رأسي في منتصف الوسادة بين الرأس والرأس.. أنصت لخصوصياتهم.. أطلع على عوراتهم.. أطلع عليها ثم أضعها في ملفات أرصها على أرفف في مكتبي...

ينكس الثاني رأسه هو أيضاً، وبصمت الرجلين يعلو صوت الأمواج البعيدة وصرير اللافتة المحذرة من الحيتان.

النهاية